النّشاط الثقافي في الأردن

محمّد سعيد مضيّة

تجمّع الهيئات الثقافيّة الأردنيّة

وجّهت وزارة الثّقافة الاردنية دعوةً الى الهيئات الثقافية المحلية لعقد اجتماع ومناقشة موضوع إنشاء تجمّعٍ لها. وحضر حوالي ستين ممثلا للهيئات الثقافية، من روابط وأندية ومنتديات ثقافية وهيئات دراسة وأبحاث، اجتماعاً عُقد بالمركز الثقافي الملكي يوم الاثنين، ٢ آب (أغسطس). وتُليتْ في الاجتماع أوراق عمل شملت مقدمات حول تركيبة التجمع والإجراءات المالية والإداريّة والقانونية المتعلّقة بإنشائه.

وجاء في ورقة العمل التي قدّمتها رابطة الكتّاب الأردنيين أن «الإبداع الثقافي نشاط ذاتي حرّ يتناقض مع أي شكل من أشكال الإشراف أو المراقبة. وهو متنوّع المواضيع ولكل مبدع موضوعه الاجتماعي الذي يؤدّيه ويستحثّ إبداعه، بحيث يتعذّر إملاء موضوع بعينه على هذا المبدع أو ذاك وبذا تقتصر مهمةُ السلطة الرّسميّة في مجال الثّقافة على تهيئة المرافق والمراكز والمناخات المؤاتية للإبداع وتسهيل سبل النشر والتوزيع وخلق التفاعل بين المبدعين والجمهور.»

ورحّبت الورقة بإقامة أشكال من التعاون والعمل المشترك بين الهيئات الثقافية. إلا أنها أشارت الى أن «الاردن والعالم العربي كافّة يشهدان حالةَ انحسار في النشاط الثقافي ناجمة عن الإحباط السّياسي السّائد بفعل النّكسات والهزائم. ويقضي الواجب الاعتراف بهذا الواقع واستخلاص علاقة الحالة الثّقافية بنهوض الوضع السّياسي او هبوطِه».

وأضافت الورقة تقول، «لا بد من ملاحظة أن الباحثين عن التثقيف الذاتي والتعلم المستمر يشكلون نسبة ضئيلة بين خرّيجي الجامعات والمعاهد المتوسّطة والمتعلمين عموماً، الأمر الذي يدفعنا الى ضرورة المطالبة بإعادة النظرفي برامج الدراسة وأساليبها وبشكل خاص أسلوب التلقين بدلاً من تنمية القدرة على التّفكير وتشجيع مبادرات الأطفال وقدراتهم الإبداعية وتعويدهم على البحث والتحليل والسّعي الدائم للاستزادة من المعرفة وتوسيع الخبرة. فإرساء قيمة المعرفة والاختصاص في المجتمع ونشر التفكير العلمي وبحث القضايا الملموسة والمشاكل العيانية لايجاد حلول عيانيّة لهُوَعمليّة معقّدة وشاقّة ولكنّها ضروريّة من أجل إرساء تقاليد ثقافية في المجتمع».

«كما أنّ تنشيط الحوار وتبادل الآراء والنقد مهمات ضرورية لخلق مناخ ملائم لتطوير ثقافة المجتمع وتشجيع عملية الإبداع...».

واقترحت الورقة «استراتجية للنشاط الثقافي تربط التنمية الثقافية بالتنمية الاجتماعية، وقوامها تنمية أفراد المجتمع مهنياً وتقنياً وربط ذلك بممارسة الجماهير لحقوقها الثقافية والانسانية ضمن برنامج التطوير الديموقراطي وإرساء قواعد الديموقراطية في المجتمع... ومن خلال ذلك تتعزز الهويّة الثقافية القوميّة المستندة الى خبرة واعية بالواقع الاجتماعي والعلاقات الدوليّة والقوميّة وامتلاك للتراث القومي تعزّز مشاعر الاعتزاز القومي في المجتمع».

كما طالبت ورقة العمل بمواجهة التأثيرات المخرّبة للأفلام التلفزيونيّة الأجنبيّة وبرامج الدعاية والبرامج الإخباريّة الموجّهة لتكييف الجمهور مع مرامي الاستراتيجيّة الكونيّة للإمبرياليّة.

وأُفرِدت فقرة خاصّة لمخاطر التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني، التي تجلّت نُذُرُها في مشروع السوق الشرق أوسطيّة. «ومما لا شك فيه أن تعزيز عوامل الحصانة الثقافيّة القوميّة شرط أساسّي لمجابهة مخاطر التطبيع الثّقافي. فتدفّق السّلع طبقاً لنظام السّوق المشتركة يحمل معه تدفّق السّلع الثّقافيّة الهابطة وفقاً لاعتبارات السّوق وكذلك العادات الاستهلاكيّة الغريبة التي تقوّض النفسيّة الاجتماعيّة وتزيد عوامل اختلالات المجتمع. هذا علاوة على أن التفوّق التكنولوجي الإسرائيلي سيتيح احتكار مراكز البحث والتطوير التقني والعلمي لإسرائيل ويترك للقوة البشرية العربية العملَ الرخيصَ، الأمر الذي يؤثر حتماً على المستويات الثقافية للجماهير الشعبية العربية».

وفي نهاية الاجتماع تشكلت لجنة مصغرة من ست هيئات نقابية منها رابطة الكتّاب الأُردنيين للنظرفي مقترحات

الهيئات وتقديم تصور لشكل تجمع الهيئات الثقافية المقترح، وكذلك الإجراءات المقترحة ومراحل التنفيذ حسب الأولويات.

وأقرّت اللجنة المصغرة في أول اجتماع لها اعتماد مناهضة التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني كمهمة أوّليّة للهيئات الثقافية الأردنية ولتجمعها العتيد، والإعداد لمؤتمر ثقافي محلّي كأحد مراحل تشكيل الاتحاد العام للهيئات والروابط الثقافية في الأردن. كما اقترحت استراتيجية مشتركة للنشاط الثقافي تضمنت معظم ما ورد في ورقة رابطة الكتاب الأردنيين ولا سيّما ربط الثقافة بالتنمية الاجتماعية وتنمية الأفراد مهنياً وتقنياً وربط ذلك بممارسة الجماهير لحقوقها الثقافية والإنسانية ضمن برنامج التطوير الديموقراطي وإرساء قواعد الديموقراطية في المجتمع.

هذا ويُتوقع أن يعود الاجتماع الموسع لممثلي الهيئات الثقافية الى الانعقاد ثانية في النصف الأول من شهر سبتمبر (أيلول) لإقرار خطة العمل ومراحل التنفيذ.

نشاطات ثقافية

شهد الأردن خلال شهري تموز وآب (يوليو، أغسطس) مناسبات ثقافية حفلت بألوان من النشاط الثقافي. وقدمت هذه النشاطاتُ الدليلَ على أن موجة الثقافة الاستهلاكية التي هيمنت حقبة طويلة نسبياً وهيّأت لها الظروفُ الماديةُ والروحيةُ لم تستأصلِ الحنينَ الى ثقافة إنسانية.

فقد عُقد في النصف الثاني من تموز مهرجان جرش الثقافي، وتلاه مباشرة مهرجانُ الفحيص الثقافي الرابع «الأردن تاريخ وحضارة» وقدمه نادي الفحيص، ثم مهرجان القدس للأدب والفن الذي أقامه نادي الوحدات بالتعاون مع مؤسسة شومان، ثم ملتقى القصة القصيرة الذي دعت اليها وزارة الثقافة الأردنية في عمان ٢٢-٢٥ آب (اغسطس).

القاسم المشترك بين هذه الفعاليات هو الندوات الفكرية التي ناقشت جوانب هامة من الحياة الاجتماعية والحرص على إشهار الفولكلور وتطويره.

في مهرجان جرش قُدِّمَتْ عروضٌ ثقافية متنوعة. إذ قدم وليد عقل عزفاً على البيانو، وقدمت فرقة كاراكلاً ذات الشهرة الواسعة عروضاً فنية، وفرقة الفحيص عروضاً في التراث الفولكلوري. وقدمت فرقة بشّار زرقانة، التي تبحث عن طريق خاص بها في الغناء العربي المعاصر المستند الى التراث، عروضها المتميزة. وقدمت عروضٌ مسرحية للكبار وأخرى للصغار، وعُقِدَت ندوة شعرية. وعكست هذه العروض الأهمّيّة الاجتماعيّة الخاصّة لمهرجان جرش الثقافي كموسم تقليدي يستقطب قطاعاتٍ واسعة من المجتمع الأردني بمختلف شرائحه. ورغم أهميّة العروض لم تسلم عروض غنائيّة هابطة من النقد والسخرية بسبب ما رافقها من إثارة وتبذّل. وكان المشرفون على المهرجان يلاحظون في كل عام نشوز هذه العروض ومجافاتها للذوق العام ويعلنون عدم عرضها مجدّداً في العام القادم.

وفي بلدة الفحيص غربي عمان، حيث وُلدت فرقة الفحيص للتراث الشعبي وترعرعت مكتسبةً السمعةَ الرفيعة في أنحاء الاردن ونالت الجائزة التشجيعية من وزارة الثقافة في العام الفائت، أحيا نادي الفحيص مهرجانه الثقافي الرابع بحضور أعداد كبيرة من مختلف الشرائح الاجتماعية الأردنية. وتناوبت العروض الفولكلورية والندوات الفكرية مثل ندوة «واقع ومستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي» وندوة «الفحيص: الذاكرة والمكان» وندوة «المكان في العمل الفني».

وكان مهرجان القدس تظاهرة ثقافية للتضامن مع القدس والأراضي المحتلة. وتضافرت في هذه التظاهرة جهود مؤسسة شومان ورابطة الكتاب الأردنيين ورابطة المسرحيين ورابطة الفنانين التشكيليين وجمعية المكتبات الأردنية. واختتمت الفعالية بندوة للأديب العربي حنا مينه حول تجربته الإبداعية تلاها تقديم الدروع وشهادات التقدير و جوائز الإبداع الأدبي للمبدعين الشبان التي عُهِدَ بالتحكيم فيها لرابطة الكتاب الأردنيين. وفاز فيها كل من الشاعر محمد لافي والقاصّتان بسمة النسور وحزامة حبايب والناقد غسّان عبدالخالق.

وقدّمت رابطة الكتّاب الأردنيين ندوتين «حول الثابت والمتحول في أدب الأرض المحتلة» و«مخاطر التطبيع الثقافي مع الكيان الصهيوني». وقدمت رابطة المسرحيين ندوة حول مشاكل المسرح المحلّي، ووجّه المشاركون بالندوة انتقادات الى المؤسسات الرسمية لتجاهلها الأعمالَ الفنيةَ المحلية وتخريب الوعي الاجتماعي بالعروض الفنية الهابطة وغياب الاستراتيجية الثقافية الفنية.

وأقامت جمعية المكتبات معرضاً لكتاب القدس. كما أُقيم معرض للفن التشكيلي ومعرض للأزياء الفولكلورية التي تتعرض للسرقة والتشويه من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلية.

وشهدت ندوة القصة التي دعت اليها وزارة الثقافة حواراً جاداً ومثمراً حول هذا الفن المظلوم، فكانت بحق أول ندوة متخصصة تعنى بهذا الشكل الثقافي وتناقش تقنياته وإشكاليّته. وتباينت الدّراسات المقدّمة من حيث التقاطها للقضايا العيانيّة للقصّة الأردنيّة وارتباطها من حيث المضمون بالقصّة القصيرة العربيّة. وجمح بعض الدّارسين في استعارة المعايير والتقنيّات وكذلك المفاهيم المستخدمة في الغرب. إلا أن حضور جلسات الندوة والمناقشات التي جرت جاءت مؤشّرات على التفاعل مع مواضيع الندوة ومحاورها ودلالات على توطّد وعي ثقافي بعيد عن الاستهلاكيّة في الأردن.

السيّدة سامية عطعوط قاصّة نالت إبداعاتها اهتمامَ النقّاد في الأردن والعالم العربي، إذْ فازت بجائزة القصّة في إحدى المسابقات التي أُجريت في مصر. وقد قدّمت الناقدة الدكتورة ليلى نعيم دراسة نقديّة لمجموعتها القصصية **طقوس أنثى**. وعلّقت القاصّة على أعمال الندوة فقالت: «إن الندوة إنجاز مهم من حيث تناوله لفن القصّة القصيرة ومن حيث مستوى الإدارة والتنظيم. وقد نجح بعض الأبحاث في إعطاء لمحة عن تطوّر القصّة القصيرة في الأُردن وعن التيّارات الموجودة على السّاحة الثقافيّة الأردنيّة مع الإشارة إلى عدد من القاصّات اللواتي يتميّزن عن القاصّين في مستوى الكتابة. ولعل هذه الظاهرة بحاجة إلى دراسة متخصّصة ومتعمّقة على صعيد المادّة الإبداعيّة نفسها وأثرها على الحركة الأدبيّة في الأردن. الا أن بعض الدراسات تعاملت مع القصة القصيرة من خلال أطر ومرجعيات قديمة. هذا إضافة الى أن المحاور جاءت فضفاضة لا تشمل قضايا عيانية مثل اتجاهات القصة من حيث التجريب على مستوى الشكل أو اللغة. وكنت أتمنى أن تثار إشكالات الأسلوب والشعرنة واللغة في القصة القصيرة في هذه الندوة. فمثل هذه المواضيع تساعد على تطوير آفاق القصة القصيرة وتلمُّس التقنيات الجديدة المستخدمة فيها».

وقال وزير الثقافة الأردنية، الدكتور محمود السمرة، لدى افتتاح أعمال الندوة «إنّ الهدف الأساسيّ من هذا القاء السنوي هو تحقيق التفاعل بين أطراف العملية الثقافية العربية ووجود منبر للحوار وأداة للاتصال والتلاقي وصولاً الى الأهداف المرجوة والغايات المنشودة»، مشيراً الى أن الندوة تعقد في «هذا الزمن الذي يعزز الأردن فيه مسيرته الخيرة في ظل أجواء وارفة من الديموقراطية والحريات العامة وحقوق الإنسان ويسعى سعياً حثيثاً الى حماية الإبداع من الاستلاب وكفالة حرية المبدعين وحقوقهم وكرامتهم».

هذا وشارك في الندوة من خارج الأردن النقّاد العرب الدكتور حسام الخطيب، محمد دكروب، فاضل تامر، أحمد المديني، ياسين نصّير، إدوار الخرّاط، عبد الله أبو هيف، صبحي شحروري.

١٩٩٣/٨/٢٩